

الكتب والكتب الموءلفة فيه

والمكتاب في العالم الاسلامي

المكتبة الموءلفة في الكتب عند المسلمين وحالة المكتاب الاسلامية أمس واليوم في العالم الاسلامي عموماً وفي القارة الافريقية خصوصاً. موضوع من الاهمية بمكان. تناولته العلامة الشهير الشيخ سيدي عبد الحلي الكتاني وأعطاه حقه من الدرس والتحقيق في هذا المقال الذي تفضل به جنابه على المجلة تشجيعاً وافادة. والشيخ نفسه يشير الى اهمية الموضوع والسبب الذي حمله على التصدي اليه وهو الرجل الذي أوقف حياته على خدمة العلم وأهله في مقدمة وجيزة يقول فيها مخاطباً المجمع العلمي العربي بدمشق الفيحاء ان كثيراً من الناس ان لم يكن معظمهم لا يعلمون عن حالة الكتب والمكتاب الوقفية قديماً وحديثاً ببلادنا الافريقية الا ما ندر بل صاحب مجلة المقتطف يقول فيها مما يذكر بالاسف ان مؤرخي العرب لم يذكروا تاريخ المكتاب العربية وكل ما ذكره عنها جاء عرضاً في كلامهم على غيرها فرأيت ان من المتعين علي القيام بهذا الواجب الذي أغفله المؤرخون راجياً من القراء ان يعلموا اولاً انها احرف كتبتها يد مغربية في المغرب الاقصى حيث لا مكتاب منظمه الا ما ندر ولا وصلات معترف بها الا ما جاء صدقة ولا مجلات دورية تنصل بها الا ما فضل عن سرقة موزعية ولا خلاصامره أوندأ نشاوره ان هي الافكرة حلقة وليدة زاوية وراقهارئيس طريقة فان راق رجال المجمع العلمي فلمهم أولاً حدهم أن يقول في الزوايا خبايا والا فمن جاء على أصله فلا سؤال عليه

يعلم من الخطاب الذي القيناه في المؤتمر العربي السادس المنعقد بالمعهد العلمي بالرباط في قعدة عام ١٣٤٦ ان المكتابة والمجمع والنسخ والتدوين في الاسلام ابتدأت تحطو خطواتها التدريجية من بعد الهجرة المحمدية وكان أول ما عرف عنها كتابه عليه السلام في الصدقات الذي كان عند أبي بكر وكتابه في نصاب الزكاة الذي كان عند عمر وكتابه الى أهل اليمن بانواع الفقهاء وابواب مختلفة ومنها مكاتبه عليه السلام الى الملوك وامراء الاطراف وولاته ونصوصها لاتزال محفوظة الى الآن وافردها بالتاليف جماعة كأبي محمد عبد الله بن علي بن احمد بن حديدة الانصاري في كتابه المصباح المفضي في كتاب النبي الامي ورسله الى ملوك الارض من عربي وعجمي ومنها أمرة عليه السلام بان يقيدوا له في ديوان من أسلم وهو أصل الديوان العمري الذي صار فيما بعد اقنوما يرجع اليه في معرفة انساب القوم وسوابقهم في الاسلام ومنها جمع أبي بكر وعمر وعثمان القرآن الكريم في مصحح

وجعل عمر تابوتاً للمجمع صكوكه الرسمية ومعاهداته الاممية ومنها كتاب علي في سائر العلوم قال الشهاب ابن حجر الهيتمي في شرحه على الهمزية ص ٢٤٨ ان علياً اختلى بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم فكتب كتاباً فيه العلوم الجمة حتى قال ابن سيرين لو ظفرت بذلك الكتاب ظفرت بالعلم كله همنه ومنها كتابة ابن عباس للفناوي التي كان يسأل عنها وتدوين زيد بن ثابت في الفرائض والمنسك الذي لجأ به بن عبد الله الانصاري الى غير ذلك مما جاء عن عبد الله بن عمرو بن العاص وعلي بن أبي طالب وعبد الله بن مسعود وأبي هريرة وأنس ومعاوية والحريث بن كلدة الى غير ذلك مما جاء عن كبار التابعين كابي الاسود الدؤلي والحسن البصري وزائد بن قدامة وحجر بن عدي الكندي وسليم بن قيس الهلالي وعبيدة بن قيس السلماني وعلي بن أبي رافع وعروة بن الزبير وكعب الحبري وخالد بن يزيد بن معاوية وابن شهاب وعبيد ابن شربة الجرهمي وأبي مخنف الازدي وعوانة بن الحكم الكلبي وزيد

ابن أبيه وعكرمة مولى ابن عباس وأبي قلابة وقتادة السدوسي
وأبي العاليتة والحسن بن محمد بن الحنفية ووهب بن منبه وزيد بن
أسلم وغيرهم في باب الكتب والتدوين واتخاذ الكتب
ومما فاتني ذكره في الخطاب المذكوران الحافظ ابن حجر في الإصابة
ترجم في القسم الثالث من حرف العين لعبيد بن شربة الجرهمي قائلا
ذكر الرشاطي عن الهمذاني ان



الشيخ عبد الحى الكتاني

كتاب الحريّة بن راشد وبني
ناجية كتاب مقتل علي كتاب مقتل
صخر بن عدي كتاب مقتل محمد
ابن أبي بكر الصديق والاشتر
ومحمد بن أبي حذيفة كتاب الشوراء
ومقتل عثمان كتاب المستورد
بن علقمة كتاب مقتل الحسين
عليه السلام كتاب وفاة معاوية
وولاية ابنه يزيد ووقعة الحرة
وحصار ابن الزبير كتاب المختار
ابن أبي عبيد كتاب سليمان بن
سرد كتاب مرج راهط وبيعة
مروان ومقتل الضحاك بن قيس
كتاب مقتل عبد الله بن الزبير
كتاب مقتل سعيد بن العاص

معاوية كان مستشرفاً لخبار حمير
فقال له عمرو بن العاص أين انت
من عبيد بن شربة فانه اعلم من
تعرض لخبارهم وانسابهم فكتب
اليه ياخذ منه الاخبار فألب كتاباً
وقد زيد فيه ونقص فلا يوجد منه
نسختان مستويتان .

وترجمه ابن النديم في الفهرست
وذكر قدومه على معاوية وسؤاله
قال فامر معاوية أن يدون
وينسب الى عبيد بن شربة قال وله
من الكتب كتاب الامثال
كتاب الملوك وخبار الماضين هـ
وترجم ابن النديم أيضاً لعامة
بن كريمة الكلابي فقال كان في أيام

يزيد بن معاوية عارفاً بأيام العرب وخبارها وهو أحد من اخذت
عنه المثالب له كتاب الامثال نحو خمسين ورقة رأيتها هـ
وترجم لصحاح العبدى فقال أحد النسابين والخطباء في أيام معاوية
ابن أبي سفيان روي عن النبي صلى الله عليه وسلم حديثين او
ثلاثة وله من الكتب كتاب الامثال
كتاب حديث ياحميراء ومقتل بن الاشعث كتاب بلال الخارجي
كتاب نجدة أبي قبيل كتاب حديث الازارقة آخر ذلك انظر
ص ١٣٦ من الفهرست
وفيها أيضاً لدى تسمية الكتب المصنفة في تفسير القرآن كتاب
الباقر بن علي بن الحسين عليهم السلام رواه عنه ابو الجارود زياد

بن المنذر رئيس الجارودية الزيدية كتاب ابن عباس روال مجاهد وورق عن أبي نجيح عن مجاهد وقيس بن ميمون عن أبي نجيح عن مجاهد كتاب تفسير أبي حمزة التماري واسمه ثابت بن دينار وكنيته دينار أبو صفية وكان أبو حمزة من أصحاب علي بن أبي طالب من النجباء الثقات كتاب النفسير عن زيد بن أسلم بخط السكري كتاب تفسير عكرمة عن ابن عباس كتاب تفسير الحسن بن أبي الحسن البصري انظر ص ٥٠ من الفهرست

وذكر ابن النديم في ترجمته الكتب المؤلفة في نزول القرآن كتاب عكرمة عن ابن عباس وذكر في ترجمة الكتب المؤلفة في احكام القرآن كتاب احكام القرآن للكبائي روال عن ابن عباس وفي الفن الخامس من المقالة السادسة في فقهاء الشيعة وما افلوا من الكتب من الفهرست من أصحاب أمير المؤمنين علي السلام سليم بن قيس الهلالي قال لابان بن عياش انه كان من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم كيت وكيت واعطاه كتابا وهو كتاب سليم بن قيس الهلالي المشهور روال عنه ابان بن عياش لم يروه غيره عنه وأول كتاب ظهر للشيعة كتاب سليم بن قيس الهلالي اه منها ص ٢٠٧

ولما ترجم ياقوت الحموي في معجم الادباء لخالد بن يزيد بن معاوية قال كان يقول كنت معتنيا بالكتب وما انا من العلماء ولا من الجهال قال ومما نسبوا له من التصانيف في الكيمياء السر البديع في الرمز المنيع وكتاب الفردوس ورسائل اخرى انظر ص ١٦٩ ج ٤ ولا شك انه لولا اقبال الناس في القرن الاول على جمع الكتب لما بلغ الناس في الجمع والتصنيف الى هذه الدرجة والكثرة ولكن الفضل الاول في تكوين المكاتب في الاسلام فيما يظهر لي الى أبي بكر الصديق رضي الله عنه فانه الذي وضع الحجرة الاولى لهذا العمل المشكور بدليل ما رأيته في كتاب التعريف برجال مختصر

ابن الحاجب الفرعي للبحاث المطامع أبي عبدالله محمد بن عبد السلام بن اسحاق الاوي المالكي في ترجمة أبي بكر الصديق قال كان عمر قاضيه وعثمان كاتبه وسعد مولى مصاحفه وسعد القرظي مؤذنه والمصاحف عندهم اذ ذاك الكتب لان المصنف كان في كتب اللغة مثل الميم الكراسة وحقيقتها مجمع الصحف أو ما جمع منها بين دفتي الكتاب المشدود جمع مصاحف فوجود ما ذكر عنده يدل على انه كان عنده ما يسمى كتباً ولكن كثرتهم احتاج الى وال يـلي أمرهم ويضبطهم ويحضرهم له متى ارادهم فهذا اذا مكتبة وقيم ولا زال يزداد ويكثر امر الكتب الى زمن عمر الذي كان له صندوق اوقاد يس يجمع فيه عهدا مع الامم انظر ص ٧٤ من ج ٢ من خطط مصر للمقرئ

والديوان الذي ضبط عمر فيه الناس على مراتبهم في السبقية والهجرة واصالة النسب الى زمن عثمان رضي الله عنه فبالغ الناس في الاهتمام بالورقة والتجويد الكتابة والاعتناء زخرفة الكتب وتبجيلها

وفي البيان والتحصيل للقاضي أبي الوليد ابن رشد قال ابن القاسم واخرج الينا مالك مصحفا لجدا فحدثنا انه كتب على عهد عثمان

ابن عفان فوجدنا حليته فضة واغشيته من كسوة الكعبة ه وهذا يدل على دالة واضحة على ما وصلت اليه حالة الورقة في القرن الاول من الهجرة وعلوهم بكيفية تحليل الفضة وتحلية الكتب بها وجعل الاغشية لها حتى من كسوة الكعبة بل في زمن عثمان أيضا بلغ بالناس الحال الى ضبط سجلات المرافعات والخصومات والحجج امام المحاكم الشرعية في البيان والتحصيل لعالم الاندلس وقاضي قرطبة أبي الوليد ابن رشد قال مالك كان قاض في زمن عثمان وانه رفع اليه كتب تقدم امرها والتبس الشان فيها فاخذها وأحرقها بالنار فقبل لما لك الحسن ذلك قال نعم إني لاراد حسنا

قال ابن رشد معنى هذه الكتب انها كتب في الخصومات طالت
المخاصمة فيها والدعاوي وطالت الخصومة حتى التبس أمرها على
الحكام فاذا احترقت قيل لهم ماتدعون ودعوا ما تلبسون به من
طول خصوماتكم واستأنفوا العمل وهو حسن من الحكم على ما
استحسنه مالك اه من جامع البيان والتحصيل لابن رشد
وقوله في زمن عثمان هكذا في نسخة عندي من البيان والتحصيل
قديمة تملكها جماعة من الاعلام والذي يقتضيه سياق الزقاق في
لاميته ابان بن عثمان وذلك في قوله
فقد قال بعض العارفين اذا اخفى
على قاض امر في العقود ولا انجلا
يساغ له التقطيع ان كان يرتجى
به قطع ما يخشى من الطول والبلا

كما عن ابان بن عثمان قد بدا
من الحرق والتحسين عن مالك صلا
وظاهر كلامه ان ابان هو الذي حرق والذي في العتبية من سماع
ابن القاسم وقد كان قاضيا في زمن ابان بن عثمان وانه رفع اليه
كتب أي رسوم تقدم عصرها والتبس الشان فيها فاخذها فحرقها
وقع ذلك في رسم حاف أن لا يبيع سلعة سماها من سماع ابن
القاسم من اول اقضية العتبية ونحوها في النهاية للهيتمي
قلت وابان هذا هو ابن عثمان بن عفان تابعي من أهل المدينة سمع
ابا وغيره من الصحابة روي عنه هو الزهري وغيره مات بالمدينة
زمن يزيد بن عبد الملك بن مروان وكانت وفاة يزيد سنة خمس
وماية من الهجرة

يتبع



سيدي محمد الحجوى

العلامة الحجوى

بمناسبة بروز الجزء الرابع من الفكر السامي في تاريخ الفقه
الاسلامي الذي هو من اعظم التأليف التي خطتها الاقلام العربية
في هذا العصر أقامت العاصمة الادرسية يوم ١٤ من صفر لصاحب
الكتاب المذكور العلامة وزير المعارف سيدي محمد الحجوي صانه
الله وحفظه حفلة تكريم حضرها نصراء الثقافة العربية من سائر
انحاء الايالة وتجلي فيها العلم الاسلامي في صورة تفرح بالحاضر وتبشر
بمستقبل زاهر ان شاء الله